
7
قصص
المبشرون
بالجنة
المجاهد
الكريم
سلوى العنانى
دار اللطائف

المجاهد الكريم

(طلحةُ بنُ عبيدِ الله)

قالت أمُّ المؤمنين (عائشةُ) :

"كان (أبو بكر) إذا ذكر يومَ أُحدٍ يقول :

ذلك كله كان يومَ (طلحة) .. كنت أول من جاء إلى النبى عليه السلام فقال لى الرسولُ ولأبى عبيدة بن الجراح : "دونكم أخاكم" .

ونظرنا ، وإذا به بضع وسبعون بين طعنة .. وضربةٍ .. ورميةٍ .. وإذا أصبعه مقطوعةً .. فأصلحنا من شأنه .

فمن هو (طلحةُ) .. الذى أبلى كل هذا البلاءِ يوم أُحد ؟ هو (طلحةُ بنُ عبيدِ الله) أحدُ المبكرين فى الإسلام والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ..

كان (طلحةُ) أحدَ أثرياء مكةَ .. يعمل بالتجارةِ بين بــلادِ العرب والشامِ ومصرَ واليمنِ .. تجارةٌ ضخمةٌ وثــراءٌ وجـاهٌ ومكانةٌ مرموقةٌ بين سادةِ قريشٍ ..

سمع يوما أن الأمينَ (محمد) يقول عن خبر أتاه من السماء يأمره أن يدعو الناسَ إلى ترك عبـادةِ الأصنـامِ ، وعبـادةِ إلـه واحدٍ أحدٍ فردٍ صمدٍ ..

إن هذا الحديثَ ليس بجديد عليه ..

فقد سمع من رهبان الصحراء الذين كان يلقاهم ويجلـس إليهم أحيانا .. أن نبيا سيبعث هــذا الزمـان يدعـو النـاسَ لعبادةِ الله الواحدِ الأحدِ ..

بل إن أحدهم أخبره أن هذى النبيَّ ســيبعث فـى مدينـةِ البيتِ الحرامِ ..

فهل يكون (محمد) هو هذا النبــى ؟ ولم لا ؟ إنـه إنسـانٌ

صادقٌ أمينٌ يطعم الفقيرَ ويؤوى المسكينَ ويمد يد المساعدةِ لكل من يطلبها ..

سأل (طلحةُ) .. من يقف إلى جوار (محمد) ويؤيده فيما يقول ؟ قالوا له .. (عتيق بن قحافة) (أبو بكر) ..

وحزم طلحةُ أمرَه .. لابد من لقاءِ محمدٍ .. فهو (أمين) .. وكذلك صاحبُه .. فهما بلا شك لن يجتمعا على باطلٍ ..

ذهب (طلحَةُ) إلى (أبى بكر) وسأله عن شأن (محمدٍ) .. ثم صحبه إلى حيث رسولِ الله ..

ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله ..

وعند خروجهما من عند النبى قابلهما (أسد قريش) "نوفلُ بنُ خويْلد" .. وكان طاغيَةً جبارًا يتفنن فى تعذيب المسلمين .

فما إن رآهما حتى أدرك أن (أبا بكر) قد دعا (طلحَةَ)

إلى الإيمان (بمحمدٍ) ..

وأن الأخيرَ قد آمن فعلاً ، فما كان منه إلا أن أمر عبيده وخدمه وأتباعَه فربطوا (أبا بكر) و (طلحة) فى حبلٍ واحدٍ وساموهما عذابا وإهانةً ..

ومن يومها يطلق عليهما اسم (القرينان) .. وأنعم بهما من قرينين ، وخشيت قريش عاقبةَ أمرِها ، لأنها تُعذب شريفين وجيهين من أشراف ووجهاء مكة فكفت عن تعذيبهما ، واكتفت بتعذيب العبيد والمستضعفين .

ومن هنا بدأت الرحلةُ المباركةُ .

رحلةُ الإيمان التى أخذ فيها (طلحةُ) مكانا بارزًا .

ولم تستسلم قريشُ لما يحدثُ .. إن الدعوةَ الجديدةَ تستقطب إليها نجومَ المجتمعِ القرشى وأثرياءه ولابد من التصدى لهم ..

وتبدأ حملةُ الاضطهادِ ، والمقاطعةِ ، لهذا التاجرِ الذى باع الدنيا واشترى جوارَ رسولِ الله .. لم يأبَه لشىء ، فقد كان إيمانُ (طلحة) إيمانا جعل من صاحبه جنديا وهب حياته وكل ما يملك لخدمةِ هذا الإيمانِ .

ظل (طلحةُ بنُ عبيد الله) إلى جوارِ الرسولِ فى مكةَ يدفع عنه الأذى ، ويؤيد الدعوة بماله وقوته ..

ثم هاجر إلى المدينةِ فرارًا بدينه من أذى قريشٍ ، وحارب إلى جوارِ رسولِ الله فى كل غزواته ومعاركه ما عدا غزوةَ بدرٍ ..

أوفد الرسول (طلحةَ) ومعه (سعيدُ بنُ زيد) فى مهمةٍ استطلاعيةٍ حربيَّةٍ خارجَ المدينةِ .. ولما رجعا كان المسلمون قد رجعوا من بدر منتصرين على قريش ..

وحزن الصحابيان الجليلان أن هذه الفرصةَ قد فاتتهما ..

لكن النبيَّ عليه السلامُ طمأنهما وأخبرهما أن لهما ثـوابَ المقاتلين تماما .. فقد كانا فى مهمةٍ لخدمةِ الدعوةِ الإسلاميةِ ، ومنحهما من الغنائمِ مثلَ ما منح المشاركين فى المعركةِ .

نزل الوحيُ على الرسولِ الكريمِ يقول :

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} .

ردّد الرسولُ هذه الآيةَ ، وتطلع إلى وجوه أصحابهِ ثم قال: "من سره أن ينظر إلى رجـلٍ يمشـى علـى الأرض ، وقـد قضى نحبَه .. فلينظر إلى طلحةَ" .

يا الله .. إنها بشارةٌ بالجنةِ .. فهو رجل من الذين صدقــوا ما عاهدوا الله عليه ، فهنيئا له بالبشرى .. البشرى بالجنةِ ..

منح النبىُّ ﷺ (طلحةَ) لقبا لم يمنحه لغيره مـن الصحابَـةِ فقـد كـان يناديـه : (طلحـة الخـير) أو (طلحـة الجــود) أو

(طلحة الفياض) .

فقد كـان طلحـةُ أجـودَ النـاسِ وأكـثَرهم عطـاء لدعـوةِ الإسلامِ وكلما زاد خيره زاد إنفاقه ..

دعاه الرسولُ يوما :

"الصبيح ، الفصيح ، المليح" ..

قيل عنه : إنه لا يدعُ أحدا من بنى (تيم) عائلا إلا كفـاه مؤنته ومؤنة عياله ..

كان يزوِّج الأيامى منهم ، ويخدم عائلـهم ، ويقضـى ديـنَ غارمهم ..

تحكى زوجةُ طلحة (سـعدى بنـت عـوف) عـن زوجـها فتقول :

(دخلت على طلحــة يومـا فرأيتـه مـهموما ، فسـألته مـا شأنك) ؟

فقال :

"المال الذى عندى .. قد كثر حتى أهمَّنى وأكْرَبنى" .

فقلت له : ما عليك . قَسِّمْهُ ..

فقام ودعا الناسَ ، وأخذ يقسمه عليهم حتى ما بقى درهم .

ومرة أخرى باع أرضا له بثمن مرتفع ، ونظر إلى كومةِ المالِ ففاضت عيناه بالدمع ، ثم قال :

"إن رجلا تبيت هذه الأموالُ فى بيته لا يدرى ما يطرق من أمر ، لمغْرُورٌ بالله" ..

ثم دعا بعضَ أصحابه وحمل معهم أموالَه هذه ، ومضى فى شوارعِ المدينةِ وبيوتها يوزعها حتى أسْحر وما عنده منها درهمٌ" ..

ويحدثنا (جابر بن عبد الله) عن جودِ طلحة فيقول :

"ما رأيت أحدًا أعطى لجزيل مال مـن غـير مسـألةٍ مـن (طلحة ابن عبيد الله) ..

كان من أكثر الناس برا بأهله وبأقربائـه ، فكـان يعولهـم جميعا على كثرتهم ..

أحب النبىُّ عليه السلام (طلحةَ) حبًّا شـديدًا حتـى أنـه قال فى حديث صحيح :

"طلحةُ والزبيرُ جاراى فى الجنَّةِ" صدق رسول الله .

هذا هو طلحةُ المجاهدُ بماله فى سبيلِ الدعوةِ الإسلاميةِ ..

فماذا عنه مجاهدا بنفسه كما ذكرنا فى بدايةِ الحديثِ عـن موقفه يوم أُحدٍ ؟؟

جمعـت (قريـش) أقـوى قواتـها .. وسـلحت فرسـانها وجيشت جيوشَها للثأر لكرامتها وما لحق بها يوم (بدرٍ) ..

وخـرج المسـلمون لملاقـاةِ الكفـارِ عنـد أُحـدٍ .. والتحـم

الجيشان .. جيشُ الكفار بأعداده الوفيرة وعدته الكثيرة .. وجيش المسلمين بإيمانهم القوى وفدائيتهم المطلقة .. حتى أن كلَّ مسلم كان يساوى فى قوته جيشا بأكمله ..

والتحم الجيشان ..

وكان النصرُ للمسلمين ..

وفرت فرسان الكفرِ المنهزمة مخلّفةً وراءها الكثيرَ من الغنائِم .. وهنا نسى رماةُ المسلمين تعليمات النبىِّ عليه السلامُ بأن يثبتوا فى مواقِعهم لا يغادرونها أبدًا .. غرتهم الغنائمُ والأسلابُ واندفعوا إليها تاركين أماكنَهم ..

وانتهز الكفارُ هذه الفرصةَ والتفوا من خلف المسلمين وأحاطوهم وطوقوهم وانهالوا عليهم منتهزين فرصةَ انشغالهم وتركِهم أسلحتَهم ..

وكان النبىُّ (محمد) عليه السلام هو هدفَ الكفارِ فقد

رأوا أن قتلَه سيكون نهايَةً لهذا التهديدِ الـذى يعيشـونه .. وتفريقا لهؤلاء الذين آمنوا به ، ووقفوا يدافعون عن دينـهم وعن نبيهم ..

واتجهت النبالُ ناحيَةَ النبى تتمنى لو تناله ..

ومن البعد لمحه (طلحةُ) .. وكان فتى قويا صحيحا محاربـا وفارسًا نادرًا .. وإذ (بطلحة) يقفز ناحية حبيبه النبى الـذى آمن به وبدينه ..

ومـا إن أدركـه حتـى وجـد الدمـاء تسـيل مــن وجهــه الشريفِ .. فاحتضنه بيسراه وصدره بينما كانت يمناه حاملـةً سيفَها تضربُ به وكأنها سريةٌ كاملةٌ من المسلمين .

فقد كان وحده يصد عشـرات الضربـات المشـركة التـى أرادت بالنبى شرًا .

في هذا اليومِ رآه (أبو بكر الصديق) .. فكان يقول إذا ما

ذكرت (أُحد) :

ـ (ذلك كله كان يومَ طلحة) ..

هذا هو طلحة فى ميدان القتالِ ..

ولم يكن ليقعد عن غـزوةٍ مـن غـزوات المسـلمين ، بـل شهدها جميعا مع النبى عليه السلامُ ، ثم مع صحابته وتحت إمارتهم ..

وحظى من كل هؤلاء بالتكريم والتبجيل الذى يستحقه منهم ..

ولم لا ؟ وهو واحد مـن الثمانيـة الأوائـل الذيـن آمنـوا بمحمد رسولا وبالإسلام دينا ..

ثم هو واحدٌ من أهلِ الشورى الذى وكَّل لهم عمرَ بعـد وفاته أمر اختيـار خليفـةٍ لـه ليكـون أمـيرا للمؤمنـين مـن بينهم .

مر الرسولُ وأصحابُه فى طريقهم أثناءَ غـزوةِ (ذى قـرد) ببئر ماءٍ يقال لها (بيسان) فغير الرسولُ عليه السـلامُ اسمـها إلى بئر (نعمان) ..

فلما سمع طلحةُ هذا القولَ مـن الرسـول عليـه السـلامُ ذهب لتوه إلى أصحابِ البـئرِ فاشـتراها منـهم ثـم جعلـها صدقةً جاريةً يشربُ منها المسلمون ..

وفَرِحَ رسول الله لما فعله (طلحـةُ) وقـال : "مـا أنـت يـا طلحةُ إلا فياض" ..

